**جاك بيرك و الاسلام :**

تابع جاك بيرك تعليمه الابتدائي والثانوي في الجزائر، أتقن الفرنسية والعربية، وهو ابن زوجين فرنسيين. عندما نجح في امتحان البكالوريا انتقل إلى جامعة السوربون الشهيرة في فرنسا ليدرس علم الاجتماع، ثم درس الأدب القديم في جامعتي الجزائر والسربون.

استدعي بيرك لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية في المغرب، وبعد نهاية الخدمة عاد وعكف على البحث في مجال الأنثروبولوجيا فلبث قرابة عشرين سنة في المغرب (1934-1953) انتقد خلالها الاستعمار، وانكبّ على الدراسات الإسلامية وتعرف على المجتمع، ومن بين ما ألّف ''[البنى الاجتماعية للأطلس الأعلى](https://www.puf.com/content/Structures_sociales_du_Haut-Atlas)''، وهي دراسة أنثروبولوجية عن مجتمع قبائل الأمازيغ منح على أساسها الدكتوراه سنة 1955.

​​بعد سنة 1953 عرضت منظمة "اليونيسكو" على جاك بيرك إجراء أبحاث فكرية في مصر، فسافر إلى القاهرة قضى فيها ثلاث سنوات خبيرا دوليا للمنظمة، وهناك كتب "التاريخ الاجتماعي لقرية مصرية في القرن الـ20"، و**"**[**مصر بين الإمبريالية والثورة**](https://www.fnac.com/livre-numerique/a13050573/Jacques-Berque-L-Egypte-imperialisme-et-revolution)"، كما تعرف على الأديب طه حسين وأنجز دراسة عنه.

عارض بيرك الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وتصدى له بمقالات في صحف عالمية، رفض فيها التعذيب وسياسة الاستعمار عموما

بعد مصر رحل إلى لبنان وأسس مركزا لتعليم اللغة العربية، اختير بعدها للتدريس في جامعة باريس، كما درّس التاريخ الاجتماعي الإسلامي في "كوليج دو فرانس" إلى أن تقاعد سنة 1981.

كتب بيرك عشرات الكتب غالبيتها عن العروبة والإسلام، أهمها: ''الإسلام أمام التحدي'' و''أندلسيات'' و''قراءة ثانية للقرآن" و"القرآن.. محاولة ترجمة" و"[أيّ إسلام؟](https://iqbal.hypotheses.org/2496)"، بالإضافة لإعداده أطروحات علمية تناولت سير علماء وأدباء من أمثال: أبي العلاء المعري وابن خلدون وطه حسين. يقول جاك بيرك: “إنني الموازي المقابل لطه حسين لكن في اتجاه عكسي، فهو مد جسراً من الجنوب باتجاه الشمال من حوض المتوسط، وأنا مددت هذا الجسر من الشمال إلى الجنوب”.

​​أُعجب بيرك بخطاب العقل في القرآن، فكتب في ترجمته الشهيرة: "لقد فوجئت بتكرار الدعوة إلى العقل والعقلانية في القرآن، أفلا يعقلون، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. القرآن الكريم يعترف بالعقل عكس ما يتوهم كثير من الأوروبيين".

ويضيف "الإسلام ليس دين الجهالات والتعصب والعنف كما يشيعون، وإنما هو أولا وقبل كل شيء دين العقل والتبصر والرحمة والتسامح.. عن طريق هذه العقلانية الموجودة في القرآن الكريم يمكن للمسلمين أن يدخلوا العصر ويقبلوا بالعلم ويتصالحوا مع العلمانية والحداثة".

ومثلما نالت ترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن إعجابا من البعض فإنها كانت محط انتقاد من آخرين، وقد تعرّض كتاب "[ترجمة جاك بيرك للقرآن الكريم بين المادحين والقادحين](https://vb.tafsir.net/tafsir7453/#.XCHsw1X7S70)" لمواقف مؤيّدي ومنتقدي ترجمة بيرك.

  يقول جاك بيرك بإن الاسلام هو آخر الديانات السماوية، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة يظلّ مع ذلك مجهولا كبيرا حتى هذه الساعة ودائما هو في تنافر مع ما يحيط به فهو في تنافر مع الغرب رغم قربه منه جغرافيا، وتاريخيا، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم إذ أنّ الحضارتين الاغريفية-الرومانية والاسلامية متجاورتان، وبينهما كانت هناك علاقات كبيرة عبر التاريخ وقد تالّم الاسلام من هذا الجوار، وربما من هذا التواطئ الكبير مع الحضارة المتوسطية وعن انشداد الاسلام لأصوله الاولى، يقول جاك بيرك بأنه علينا أن نقول إن الاسلام كان الموحي الأساسي لحضارة عظيمة عرفها الكون خلال القرن العاشر، ولم يَعرف ما يُعرف في الغرب ب"النهضة".ولن نجد في تاريخه شخصيات من امثال غاليلي ،ونيوتن،وديكارت كما لم يعرف القفزات على المستوى الكيفي التي عرفها الفكر الغربي وجميع الجوانب العظيمة في حضارته لم تعرف ذلك التحوّل الذي أتت به النهضة"الاوروبية، والذي لم يتمّ بسهولة، ولا من دون مقاومة من جانب القوة الدينيّة وفي القرن الثامن عشر، حدثت الثورة الصناعية، وانتشرت في مناطق متعددة، خصوصا في الغرب غير ان الاسلام ظلّ بعيدا عن هذه الثورة. بعدها ازدادت الثورة الصناعية انتشارا لكن على شكل امبريالي.و يرى جاك بارك أنه على المستوى الجغرا-سياسي يمكن القول أن الاسلام يحاول الى حدّ هذه الساعة تدارك ما فات بنسب متفاوتة من النجاح غير ان ذلك لا يعني نقصا في العقيدة على المستوى الديني والميتافيزيقي".ويضيف جاك بيرك قائلا:”كلّ المجتمعات الاسلاميّة تبدي رغبة حارّة في الدخول الى الحداثة .واعتقد أن الامر الذي لم يفهمه الغرب هو أن من نسمّيهم اليوم ب"الاصوليّون ليسوا مثل اوصوليي الجيل السابق فهؤلاء كانوا معادين للتقدم، وكانوا يناضلون ضدّ كلّ اشكال التغريب فمثلا كانوا يرفضون أن يبث القران عبر الراديو.ولعلهم كانوا يرفضون أيضا السكك الحديدية.امّا اصوليو المرحلة الجديدة فيدعون الى التقدم التقني، والى الاسنفادة من الثورة التكنولوجية، وإلى تعميم التقنيات الحديثة غير أنهم يرفضون ان يحصل المسلمون على هذا التقدم عبر السير في نفس الطريق الذي سار فيه الغرب. ما هوهذا الطريق إ ذن ؟انه طريق الديمقراطية والنقد والانوار بجسب جاك بارك الذي يتحدث في نهاية الكتاب عن الصراع العربي الاسرائيلي قائلا:”من الواضح ان هناك من الجانبين صقورا وحمائم غيرأن السلام لن يتحقّق الاّ بانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، والاعتراف بالدولة الفلسطينية

”. يرى بيرك أن هناك حاجة روحية مَسيسة إلى إعادة بناء الحوار الديني بين المسيحية والإسلام. بيرك لا يخفي إيمانه المسيحي، لكنه يقول إن عيشه في أرض مسلمة وفي ظل ثقافة مسلمة، أحدثت تعديلا في رؤيته للمسيحية، خاصة أن الإسلام لا يؤمن بمفهوم الخطيئة الأصلية.

بل إنه يملك تجاه الإسلام تقديرا خاصا، إذ يقول: “الإسلام هو الذي نقل وأغنى الفكر القديم عبر اشتغاله على أفلاطون وأرسطو، وقد كان ابن خلدون والبيروني كاتبين عظيمين. أما عن العمارة، فلك أن تتجول اليوم في إسبانيا وترى روعة قصر الحمراء لتفهم كل شيء”.

وقد زار بيرك بلدانا عربية عدة كمحاضر وكمشارك في مختلف المناسبات الثقافية، وكان المستشرق الوحيد الذي قبلت عضويته بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، بترشيح من عميد الأدب العربي طه حسين.

جل مؤلفات جاك بيرك وبحوثه العلمية الغزيرة، إن لم نقل كلها، خصصها للتعريف بالعرب والمسلمين وحضارتهم. وقد رصد المهتمون حوالي 165 مؤلفا له، من بينها: “العرب بين الأمس والغد”، “الإسلام يتحدى”، “دراسات في التاريخ الريفي المغربي”، “ترجمة معاني القرآن”، “القرآن، محاولة ترجمة”، وغيرها كثير.

في سبعينيات القرن الماضي، سينحو جاك بيرك طريقا آخر، بعدما طالته انتقادات عن كون كتاباته لا تخلو من إيديولوجية. في ذلك يقول: “من الجائز أني أخطأت أساسا الطريق حين مزجت الإيديولوجيا بما كان يلزم أن يبقى بحثا موسوعيا، لقد كنت أزعج المتخصصين في الشرق من غير أن أفرض نفسي على المنظرين”.

كان يحز كثيرا في نفس بيرك أن يوصف بـ”عدو الإسلام” بينما قضى أكثر من عشرين عاما يترجم كتابه، القرآن، محاولا أن “ينقله إلى الأوروبيين للاهتداء بحكمته حسب تعبيره هذا القول سيأتي بعدما رأى بيرك أن بعض مؤلفاته قد لحقتها إخفاقات مهنية، فاكتفى بتسجيل ملاحظات على نفسه، وابتعد عن الدراسة الميدانية، وانتقل تجاه حقل جديد من العلوم، كان قد بدأ يشق طريقه، وهو السيميولوجيا[[1]](https://marayana.com/laune/2019/02/19/5708/" \l "_ftn1).

هكذا، أصدر كتابا ترجم فيه القرآن إلى الفرنسية، ناهزت مقدمته 82 صفحة، لكنه وضعها في آخر الكتاب، قائلا “إن كلام الله لا يجب أن يكون مسبوقا بكلام البشر

يقول المفكر السوري جورج طرابيشي إن أكثر ما ميز بيرك أنه أصر على التعامل مع الواقع الحي لا مع النصوص الميتة، وفهم الاستعراب كحوار بين ثقافتين: الأوروبية المسيحية، والعربية الإسلامية، وأن لدى كل منهما ما تغني به الأخرى مع ذلك، لم يسلم من نقد لاذع من قبل “علماء مسلمين” عدة، حتى أنه أوصى بوضع نسخة من ترجمته داخل قبره، حتى “يعرضها على خالقه، لينصفه عما تعرض له”. والحقيقة أنه كان يحز كثيرا في نفس بيرك أن يوصف بـ”عدو الإسلام” بينما قضى أكثر من عشرين عاما يترجم كتابه، محاولا أن “ينقله إلى الأوروبيين للاهتداء بحكمته”، حسب تعبيره.

في آخر حياته، جمع جاك بيرك ذكرياته وتجاربه الشخصية، في كتاب بعنوان “مذكرات الضفتين”. بعدما تقاعد عن عمله في مؤسسة “كوليج دو فرانس”، ظل في قرية جيوليان الفرنسية، إلى أن توفي سنة 1995، عن عمر يناهز 85 عاما.